أضواء إسلامية

على

بعض الأفكار الخاطئة

تأليف

الشيخ العلامة المحدث

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

أضواء إسلامية على بعض
الأفكار الخاطئة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار الإمام البخاري

طريق سلوى - بجوار دوار الغانم الجديد - الدوحة - قطر

هاتف : ٤٦٨٤٨٤٨ / ٠٠٩٧٤ فاكس: ٤٦٨٥٥٨٨ / ٠٠٩٧٤

WWW.albukhari.org albukhari.@qatar.net.qa

ص . ب : (٢٩٠٠٠)

التوزيع في جميع أنحاء العالم

٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة

هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٦٣٦٥٦٣٨ جوال: ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨

yahoo.ComDar_Alemam_Ahmad@E-Mail:

أضواء إسلامية
على
بعض الأفكار الخاطئة

كتبه
الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هُداه.

أما بعد:

فهذا الكتاب النافع أصله محاضرة ألقاها الشيخ ربيع عام ١٣٩١هـ، في دار الحديث بالمدينة النبوية بحضور سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وتحت إشرافه، حيث كان حينذاك رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، كما قد حضر عدد كبير من أساتذة الجامعة الإسلامية وأهل المدينة.

وقد سُرّ سماحة الشيخ بهذه المحاضرة، فأمر بطبعها، فطبعت بمطابع الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٢هـ، ونفع الله بها.

كما أنها نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية في العدد (١٦) في ربيع الثاني سنة (١٣٩٢هـ) في الصفحة (٣٦ ـ ٦١).

واليوم يُعاد طبعها لينفع الله بها الإسلام والمسلمين، نسأل الله أن يحقق ذلك إنه سميع مجيب الدعاء.

وقد اعتنى بتخريج أحاديثها الأخ الفاضل أحمد بن يحيى الزهراني، وفقه الله ورعاه، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

خالد بن ضحوي الظفيري

١٤٢٦/١٢/١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فإن من أغرب الأمور وأعجبها وأشدها وقعاً على قلب كل مؤمن واع، وأشدها حيرة لعقله، وأذهبها للبّه، ما وقع فيه كثير من المنتسبين للإسلام من ضلال بعيد في الفكر، وانحراف خطير في المعتقد، وانحدار فيه إلى مستوى من الجاهلية لم تبلغه أي جاهلية مضت على مدار التاريخ.

صحيح أن المشركين في كل جاهلية قد

عبدوا الطواغيت والأوثان من دون الله واستكبروا في الأرض وكذبوا وعاندوهم أشد العناد والمكابرة.

غير أن احتجاجهم لشركهم وتعصبهم لوثنيتهم ما كان يتجاوز أن آلهتهم: (تقربهم إلى الله زلفى). وأن هذا أمر اعتادوه وألفوه وورثوه عن آبائهم، كما علمنا القرآن وهو أصدق حديث عرفته البشرية:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٢ ـ ٢٣].

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٦٩ ـ ٧٤].

فأنت ترى أنهم لا يبالغون ولا يهوِّلون في تمجيد آلهتهم، ولا يتجاوزون الواقع الذي كان عليه معبوداتهم من أنها لا تسمع دعاءهم ولا تجلب لهم نفعاً، ولا تدفع عنهم ضرّاً، كل ما في الأمر أنهم قلدوا آباءهم في أمرٍ وجدوهم عليه، وتراث يريدون الحفاظ عليه.

وإذا قرأت تاريخ الجاهلية ترى أن تعلق كثير منهم بمعبوداتهم فيه ضرب من الاستخفاف، فالرجل يحمل حجراً معه ليعبده، فإذا وجد حجراً أجمل منه رمى حجره الأول واتخذ الأخير معبوده الجديد، ويتخذ الرجل معبوده يصنعه من التمر، فإذا مسّه الجوع أكله بدون تردد أو وجل.

وكانوا إذا ركبوا في الفُلك دعوا الله مخلصين له الدين ناسين آلهتهم؛ لأن ثقتهم فيها ضعيفة متجهين إلى الله الذي بيده النفع والضر والإنقاذ من الشدائد.

إن مثل هذا الكلام والأسلوب يزعج كثيراً

من الناس ويثيرهم، وأكثر ما يزعج أولئك الصيادين الذين اتخذوا من سدانة القبور ومن كرامات الأولياء شبكات لاصطياد الأغمار والبُله والمغفلين؛ قارن بين واقع المشركين الأولين الذي قصَّه الله علينا وهو أصدق القائلين، وبين عقائد هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام.

قارن بين ما تراه من أفعالهم، وما تسمعه من أقوالهم، وما تقرؤه من كتبهم في كرامات الأولياء ومراتبهم من أن هناك أقطاباً وأوتاداً وغوثاً و... و... إلخ.

وما لهم من خوارق العادات ومن تصرفات في شؤون الكون واطلاع على الغيوب، ترى العقائد الوثنية الأولى أقل جهلاً وغلواً من عقائد هؤلاء المتأخرين، إننا نقول لهؤلاء كما قال تعالى لأهل الكتاب ـ لأن هؤلاء يزعمون أنهم أهل القرآن ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

ونقول لعلمائهم ـ إن كان فيهم علماء ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧١].

تعالوا نحتكم إلى القرآن الحكيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، كما أمرنا الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وإلى السنة المطهرة قول الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ولا تكونوا كالذين قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠ ـ ٦١].

فإن صددتم فاسمعوا قول الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وإن كنتم على استعداد للتحاكم إلى الله والرسول كما أمر الله بذلك، فهنا بعض المسائل نحب أن يركز الكلام عليها وأن يدور الحديث حولها، وليس عليكم إلا أن تتحلوا بالإنصاف وتتجردوا من التعصب، وتُقْبِلوا بعقولكم وقلوبكم، وتصغوا بآذانكم بجدّ إقبال من يريد الحق، وعلى ضوء مناقشة تلكم المسائل بالأدلة من الكتاب والسنة سيتبين لكم الحق من الباطل، وإليكم ما نريد مناقشته:

ـ دعاء غير الله من الموتى والغائبين والاستغاثة بهم.

ـ ادعاء أن غير الله يعلم الغيب، سواء رسول الله ﷺ أو غيره من الأنبياء والأولياء.

ـ ادعاء أن رسول الله ﷺ ليس بشراً.

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المسألة الأولى

دعاء غير الله

نريد أن نعرف حقيقة الدعاء لغة وشرعاً.

قال الجوهري في الصحاح (٦/ ٢٣٣٧): (دعوت فلاناً: صحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه).

وقال الفيروزآبادي في القاموس (٤/ ٣٥٨): (الدعاء: الرغبة إلى الله).

وقال الفيومي في المصباح (١٩٤): (دعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً: ناديته وطلبت إقباله).

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٩٧): (والدعاء: الطلب، والدعاء إلى الشيء: الحث

على فعله، ودعوت فلاناً: سألته ودعوته استغثته).

فالدعاء إذاً استدعاء ورغبة ونداء وابتهال بالسؤال واستغاثة، والذي يدعو الله راغب إليه ومنادٍ له ومبتهل وسائل له ومستغيث به، والداعي لغير الله من ميت وغائب كذلك.

حقيقة الدعاء في القرآن:

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقال تعالى عن زكريا أيضاً: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾ [مريم: ٣ ـ ٥]، فالدعاء المذكور في آل عمران سمَّاه هنا نداء، وفسّر النداء في سورة مريم بطلب الولد.

حقيقة الدعاء في السنة:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه)**[1].

فسمى ما يطلبه العبد من ربه: دعاء ومسألة ورغبة، وهو موافق لأقوال أئمة اللغة.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يستجاب لأحدكم ما لم يعجل)**، قيل: وكيف يَعجَلُ يا رسول الله؟ قال: يقول: **(قد دعوت الله فلم يستجب الله لي)**[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: العزم بالدعاء، ولا يقل: إن شئت (٢٦٧٨).

(٢) **«صحيح»** أخرجه ابن ماجه في كتاب: الدعاء، باب: يستجاب لأحدكم ما لم يعجل (٣٨٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ. انظر: صحيح سنن ابن ماجه (ص٦٣٥) للعلامة الألباني رحمه الله.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل: اللهم إن شئت فأعطني، فإن الله لا مُستكره له)**[1].

والأحاديث ومؤلفات العلماء وتراجمهم في الدعاء شيء لا يأتي عليه العبد، بل عوام الناس إذا ذكر لفظ الدعاء لا يتبادر إلى أذهانهم إلا هذه الحقيقة، وهي النداء والسؤال والطلب.

وإذا تقررت وفهمت حقيقة الدعاء على ضوء الكتاب والسنة واللغة العربية وواقع الناس، فالله تعالى قد أمرنا بدعائه ونهانا عن دعاء غيره.

قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥ ـ ٥٦].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت (٢٦٧٩).

أمرنا الله بدعائه وعلمنا آداب الدعاء التي يرجى من ورائها الإجابة وهي:

١ ـ التضرع. ٢ ـ الخفية. ٣ ـ الخوف. ٤ ـ الطمع.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فهنا ندب تبارك وتعالى عباده إلى دعائه وأخبر أن المستكبرين عن دعائه مستكبرون عن عبادته؛ لأن الدعاء أهم أنواع العبادة وأعظمها، فالتارك لدعائه استكباراً كافر سيدخل جهنم داخراً؛ أي صاغراً، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: **(إن الدعاء هو العبادة)**، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠][1].

---

(١) **«صحيح»** أخرجه أحمد في مسنده في مواضع متعددة =

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ومعنى الدعاء هو العبادة، كما قال العلماء؛ أي: جلّها ومعظمها، كقوله ﷺ: **(الحج عرفة)**[1]؛ أي: أعظم أركان الحج.

وكقوله ﷺ: **(الدين النصيحة)**[2]، ولا شك

= (١٧٦٢٩ ـ ١٧٦٦٠ ـ ١٧٦٦٥ ـ ١٧٧٠٥ ـ ١٧٧٠٩)؛ وأبو داود في، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء (١٢٦٤)؛ والترمذي في كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة البقرة (٢٩٦٩)؛ وابن ماجه في كتاب: الدعاء، باب فضل الدعاء (٣٨٢٨). انظر: صحيح سنن ابن ماجه (ص٦٣١) للألباني رحمه الله.

(١) **«صحيح»** أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٢٣)، وأبو داود في كتاب: المناسك، باب: من لم يدرك عرفة (١٩٤٩) والنسائي في كتاب: المناسك، باب: فرض الوقوف بعرفة (٣٠١٦) وابن ماجه في كتاب: المناسك، باب: من أتى عرفة قبل الفجر ليلة الجمع (٣٠١٥). انظر: صحيح سنن ابن ماجه (ص٥١١) للألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم ـ وغيره ـ في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن =

أن الدعاء كذلك، ولذا تعبّدنا الله به في كل صلاة.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

هذه لمحة عن أهمية الدعاء وإشارة خاطفة إلى بعض ما أمرنا به ربنا تعالى من دعائه وحده.

أما دعاء غير الله فقد نهى الله تبارك وتعالى عنه أشد النهي، وحكم على فاعله بالضلال، وضرب فيه الأمثال وأبدى فيه وأعاد، وكيف لا يكون كذلك وهو أعلى أنواع العبادة، وقد قال رسول الله ﷺ: **(الدعاء هو العبادة)**[1] بتعريف الجزأين وهو من طريق القصر المعروفة عند البلاغيين.

= الدين النصيحة (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه. ولمزيد من الفائدة انظر: الإرواء (١/ ٦٢) للعلامة الألباني رحمه الله.

(١) سبق تخريجه.

ولنُشر الآن إلى قليل من كثير مما ورد في القرآن في هذا الموضوع، قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٥ ـ ١٠٦].

والظلم هنا هو الشرك: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

فهذا نهي صريح للنبي ﷺ عن دعاء غير الله مهما علت منزلته وارتفعت درجته سواء كان نبياً مرسلاً أو ملكاً مقرباً، فهذا أكمل المخلوقات وسيد المرسلين والنبيين لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، قال تعالى في سورة الأعراف آمراً نبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وإذا كان النبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فبديهي أنه لا يملك ذلك لغيره، وصرح بهذا المعنى في آيات أخر، قال الله آمراً نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١].

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنعام: ٥٨].

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وقال ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]: **(يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً.**

يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً.

يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً.

ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً.

ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»[1].

فإذا كان أكمل الخلق ﷺ كذلك، فغيره أبعد عن ذلك وأبعد، فهذه البيانات الواضحة والتصريحات القوية التي تصدر عن أصدق القائلين الهدف الأصيل منها أن يقطع المؤمن الصادق كل أمل وكل رجاء من غير الله ويتجه بدعائه ورجائه ورغباته وكل مطالبه إلى الله وحده مباشرة.

ولذا قال عقب هذه الآية التي تلوناها عليكم من سورة يونس: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (٤٧٧١) ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (٢٠٦) والترمذي في كتاب: الزهد من حديث عائشة عن الرسول ﷺ، باب: ما جاء في إنذار النبي ﷺ قومه (٢٣١٠) وفي كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الشعراء (٣١٨٢).

كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال في سورة الأنعام مستعملاً الأسلوب نفسه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال تعالى ضارباً مثلاً لحال من يدعو غير الله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

شبهت حال من يدعو غير الله بحال شخص استولت عليه الشياطين فحرفته عن الجادة، فهو تائه مضطرب الفكر والعقل ذاهب اللب يتخبط في سيره لا يهتدي لجهة ولا يعرف مقصداً في الوقت

الذي يدعي فيه إلى خلاصه والطريق الذي فيه نجاحه وفلاحه، فيمعن ويوغل في البعد عن طريق الخلاص والنجاة حتى يلقى هلاكه ومصيره المشئوم.

وقال ضارباً مثلاً لخيبة الأمل التي يُمنى بها من يدعو غير الله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤].

فهل يستجيب ماء بئر في الدنيا لمن وقف على حافتها يمد كفيه ويبسطهما إليه، ولو كان ملتهب الأحشاء محترق الفؤاد من الظمأ؟

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

وهذا تصوير صحيح لواقع كل مدعو من دون الله، وأن من في السموات والأرض لو اجتمعوا لخلق ذرة فضلاً عن ذباب لا يستطيعون، ولوقفوا عاجزين، وهذا غاية الغايات في العجز، فإذا كان هذا حال المدعوين فلماذا لا يثوب الداعون لهم إلى رشدهم؟

ولذا قال: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٤]، فهو قادر على كل شيء، غالب على كل شيء، إنما أمره إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون، والواقع أن الذين يستجيزون لأنفسهم دعاء غير الله لا يشعرون أن هذا النداء في هذه الآية موجه إليهم، وأن هذا المثل فيها مضروب لهم، ومن جراء فقدان هذا الشعور والإحساس لم يرهفوا أسماعهم لهذا المثل الذي قال الله فيه: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ وإلا لكان لهم منه أكبر زاجر وأقوى رادع ولفتحوا أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم للإيمان بقدرة الله العظيمة التي

يصغر أمامها كل شيء، فاتجهوا إليه وحده ضارعين وداعين.

وقال تعالى مبيناً غناه المطلق وفقر من عداه المطلق، وأن المدعوين من دون الله جميعاً صفر اليدين مما يتعلق به المشركون بهم الداعون لهم من دون الله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

فهذه الآية فيها تحطيم لكل أمل يتعلق به المشركون، فالمدعوون من دون الله مع الأسف لا يملكون من هذا الملك الواسع والكون الكبير السماوات والأرض مثقال ذرة لا على سبيل الاستقلال ولا على سبيل المشاركة، والله غني عنهم غنًى مطلقاً، فليس به حاجة إلى مظاهرتهم ومعاونتهم فلم يبق إلا الشفاعة، وهي أيضاً لا يملكها إلا هو سبحانه وهي متوقفة على إذنه،

على أنه لا حظ فيها لهؤلاء المشركين الداعين لغير الله، وإنما هي للموحدين، فماذا استفاد المشركون؟

النار وبئس القرار، ولا كرامة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٤، ٦].

فالله تبارك وتعالى يأمر رسوله ﷺ بأن يتحدى المشركين بأن يشيروا إلى أي نقطة من السماوات والأرض قد خلقها آلهتهم ولو مجتمعة، أو أي جزئية شاركوا فيها في الخلق والتصرف وهم لا يمكن أن يدَّعوا ذلك، فهم معترفون بأن الله وحده المنفرد بخلق الكون والتصرف في شؤونه.

فإن توقح متوقح منهم فليأت بالبرهان الواضح، ولا يمكنه ذلك لا من طريق النقل ولا من طريق العقل، وبعد عجزهم الفاضح أمام هذه التحديات، فما حكمهم إن أصروا على دعاء غير الله؟

حكمهم أنهم أضل خلق الله، إنهم غارقون في ضلال بعيد؛ لأنهم يدعون من لا يملك شيئاً في السماوات والأرض لا لنفسه ولا لغيره، وقد عجزوا وأفحموا عن إقامة البرهان على شيء من ذلك، وهم مع ذلك لا يستجيبون لهم ولو بحّت أصواتهم وانقطعت حناجرهم من النداء والهتاف ولو استمروا فيهما إلى يوم القيامة.

والنتيجة المُرة أنهم يوم القيامة يبارزونهم ويصارحونهم بالعداء الشديد: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]، إنها لنهاية أليمة ومصير مشئوم، وهذا الذي أشرنا إليه قليل من كثير مما يزخر به القرآن من محاربة هذا الاتجاه المخزي، فمن أراد

أن يعرف الحقيقة فليُمط عن وجهه حجاب التعصب الأعمى، وليقرأ القرآن ملاحظاً ما أشرنا إليه، فسيجد الأمر أوضح وأقوى.

المسألة الثانية

وهي ادعاؤهم وزعمهم أن رسول الله ﷺ وكثيراً من الصالحين يعلمون الغيب

وقبل الخوض في هذه المسألة نبدأ بمقدمة ينكشف بها أن المزاعم الباطلة والافتراءات الكاذبة لا ترفع شيئاً من منزلة رسول الله ﷺ، وليس من تعظيمه وتوقيره في شيء، بل ذلك عدوان على منصبه ومنابذة لشرعه ورسالته.

إن المؤمن الحق يعتقد أن رسول الله ﷺ أكرم البشر وسيد الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأنه يجب تعظيمه وتوقيره، وتعظيم واحترام ما جاء به من قرآن وسنة، وأنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وهنا نتساءل ما هو البرهان الصحيح العملي الذي يقيمه المؤمن على هذا الحب والتعظيم والتوقير؟

والجواب السديد أن يكون:

بطاعته والتفاني فيها واتباع ما جاء به بحيث لا يزاحمه في هذه الطاعة، وهذا الاتباع الصادق أحد كائناً من كان، جاعلاً المؤمن نصب عينيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

و﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ويكون ذلك بحبه الصحيح الذي يفوق حب النفس والوالد والولد والمال والناس أجمعين: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)**[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: حب =

ويكون ذلك بموافقته في كل أمره، فما أحبه رسول الله يحبه وما أبغضه يبغضه.

ويكون ذلك أيضاً بتصديقه في كل ما أخبر به تصديقاً وإيماناً لا يرقى إليه أدنى شك ولا ريب، واتخاذ أخباره قضايا مسلمة لا تقاس ولا توزن بكلام أحد؛ بل أقواله وأفعاله وأخباره وتشريعاته هي الميزان الصحيح الحق لأقوال الناس وأعمالهم، فما وافقه فهو الحق وما خالفه فهو الباطل سواء كان في مجال الاعتقاد أو التشريع أو الأخلاق أو السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو غيرها من شئون الحياة الدنيا أو الدين.

أما الغلو فيه وإطراؤه مع الاستخفاف بأوامره ونواهيه وتشريعاته وتعاليمه وبغض ما يحبه وحب

= الرسول ﷺ من الإيمان (١٥)؛ ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة (٤٤).

ما يبغضه وتقديم طاعة الناس والأهواء على طاعته والحيدة والرَّوَغان عند أخباره، فهذا في الواقع هو العداء السافر أو المقنَّع، فما قيمة تعظيم مزعوم لا ينقاد صاحبه ولا يسلس له قياد إلا فيما يوافق هواه وما يتبعه من مذاهب وتقاليد وعادات، ما قيمة تعظيم أشبه بصراع عنيف مع تعاليمه ومصادمة لا تقف عند حد، فإذا قال: افعلوا هذا، قيل: سمعنا وعصينا. وإذا قال: اتركوا ذلك، قيل: لابد من فعله، وإذا أخبر عن أمر أنه كذا وكذا، قيل: لا بد من وزن هذا الكلام وعرضه على آراء الناس، فإذا قال ﷺ: **(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا: عبد الله ورسوله)**[1]، قيل: ليس لنا بد من إطرائك والغلو فيك. وإذا قال الله لرسوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ (٣٤٤٥).

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] لا يرفع أناس بهذا النصّ رأساً ولم يقيموا له وزناً ولم يعيروه أي اهتمام، بل قالوا:

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

ونضرب مثلاً يتضح به الحب الصحيح من الكاذب: هناك زعيم مخلص متفانٍ فيما ينفع أتباعه صادق اللهجة لم يجرب عليه كذب له أتباع، فريق منهم سهل الانقياد سريع الاستجابة لا يتلكأ ولا يتلعثم عند أمر أو نهي، لا يأمره ذلك الزعيم بأمر إلا بادر وسارع إلى تنفيذه، ولا ينهاه عن شيء إلا كان أشد الناس ابتعاداً عنه، ولا يخبره بخبر إلا أصاب موضع اليقين من قلبه، ولا يفعل فعلاً إلا تأسى به ورأى أنه القدوة الحسنة.

وفريق آخر يمتاز بالمبالغة والتهويل في تمجيد ذلك الرئيس، رغم أنه يكره هذه المبالغات

وهذا الغلو أشد الكراهية، عرف ذلك من أقواله وأفعاله المتواترة وتصريحاته القوية وتعليماته.

ومبادؤه قائمة على أساس محاربة هذا اللون من الانحراف والإتيان عليه من القواعد، ورغم كل ذلك يصر هذا الفريق على موقفه ويمعن فيه، غير أنه بجانب هذا الغلو يمتاز بأسلوب آخر، وهو أن أوامر هذا الرئيس وزواجره وتوجيهاته لا يذعن لها هذا الفريق ويروغ عنها روغان الثعلب، فإذا قال: افعلوا هذا الأمر واتركوا ذاك، والأمر الفلاني واقعه كذا، قالوا: والله يا سيادة الرئيس أمرك هذا لا يوافق مزاجنا وليس عندنا نشاط ولا استعداد لتنفيذه، ويمكن إن نفذناه أن نواجه مشاكل لأنه لا يتفق مع رأي فلان ولا يناسب مزاج علّان، ونهيك ندخله في خبر كان، وخبرك فيه سطحية وسذاجة لا بد له من ميزان.

وعلى كل حال أحسن رأي عندنا أننا نمدحك ونطريك، ولو كان الغلو والإطراء أبغض

شيء إليك، ثم ضربوا بتعليماته السديدة وتوجيهاته الرشيدة عُرض الحائط فخالفوا أوامره ونواهيه، وحرَّفوا أخباره وتأوَّلوها كما أملت عليهم أهواؤهم، ولم يقفوا عند هذا الحد بل صبوا جام غضبهم على الفريق الطائع المنقاد وأوسعوهم لوماً وتجريحاً واحتقاراً وسخرية ووجهوا إليهم الشتائم والمطاعن ورموهم بالدواهي من المفتريات، فأي الفريقين أحق بذلك الزعيم وأقربهم إليه وأحبهم لديه، لا يخفى ذلك على المنصف العاقل.

ولنشرع الآن في بيان هذا الموضوع على ضوء الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وواقعهم، قال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

ومعنى الآية واضح كل الوضوح أن علم الغيب أمر مختص بالله جملةً وتفصيلاً، وأن هذا

أمر استأثر الله به لا يشركه فيه غيره، كاختصاصه واستئثاره بالربوبية والألوهية وغيرها من صفاته العليا التي انفرد بها واستأثر بها وحده.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: ٥ ـ ٦].

وهذا أمر امتاز به وحده كما امتاز بتصويرنا في الأرحام كما يشاء.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦].

وهذا تصريح واضح من نبي كريم من أولي العزم بحقيقة ناصعة يوافقه عليها كل نبي ورسول اختاره الله وكل مؤمن هداه الله.

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠].

أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يعلن هذه الحقائق الساطعة، فليس عنده خزائن الله ولا يعلم الغيب ولا يقول أنه ملك، ولا يخرج عن الطريق الواضح الذي رسمه الله له وهو اتباع الوحي، فلا تخفى هذه الأمور الواضحة إلا على من أعمى الله قلبه وطمس بصيرته من المكذبين المعارضين أو من الغلاة المبالغين.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يونس: ٢٠].

وهذا أمر من الله لنبيه أن يعلن هذه الحقيقة أنه لا يعلم الغيب إنما الغيب لله وحده، وقد بلغ رسول الله كما أمره الله ونحن على ذلك من

الشاهدين ومن المؤمنين المصدقين لا نمتري في هذه الأخبار الصادقة ولا نشك فيها ولا نحرفها ولا نؤولها.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ٨ ـ ١٠].

وهذه الإحاطة والشمول لا تنبغي إلا لجلاله الكبير المتعال.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ: ٢ ـ ٣].

هذه الآيات التي تلوناها وأضعافها في القرآن

الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تدور على حقيقة واحدة بشتى الأساليب من عموم وشمول وإحاطة وإجمال وتفصيل واستقصاء واستيعاب وقصر وتأكيد مما لا يدع بعض هذه النصوص فضلاً عن جميعها أدنى شك في أن الله وحده هو المنفرد بهذا الكمال وأن ادعاء علم الغيب لأحد غير الله، سواء رسول الله أو غيره، تكذيب وقح لله ولرسوله ولكتابه شاء ذلك أو أباه.

ولنضف إلى ما سبق نصوصاً أخرى تخص رسول الله بالذات بنفي علم الغيب عنه زيادة في إقامة الحجة.

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ

ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقد سبقت الإشارة إلى معاني هاتين الآيتين، إلا أننا نلفت النظر هنا إلى أنه يجب أن نفهم أن رسول الله ﷺ وجميع الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مع أنه يوحى إليهم لا يجوز أن يعتقد فيهم أنهم يعلمون الغيب، بدليل أنه جمع في آية واحدة بين نفي علم الغيب عنه وإثبات الوحي له، إذاً فعلم الغيب شيء وكونهم يوحى إليهم شيء آخر، ولو جاز أن يعتقد فيهم ذلك لجاز الاعتقاد ونفسه في كل من بلغوه ذلك الوحي، وهو في غاية البطلان والضلال.

وقال تعالى معاتباً نبيه ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣].

فسبب هذا العتاب أن بعض الأشخاص استأذنوه ﷺ في القعود عن الجهاد وقدموا إليه معاذير غير صحيحة ولا واقعة، فأذن لهم بناء على

تلك الأعذار التي قدموها ويحتمل عنده صحتها وواقعيتها غير عالم أن الله سيعاتبه في هذا الأمر وإلا لما أقدم عليه، وهو أحرص الناس على مرضاة ربه.

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

فهؤلاء المنافقون من سكان المدينة ومن حولها والمنافقون من أهل المدينة بالذات، قد مهروا في النفاق لكثرة ممارستهم له حتى أتقنوه، وهم ولا شك يشكلون خطراً على رسالته وأصحابه ومع ممارستهم إياه مدة طويلة، وفي قلب المدينة إلى تسع سنين، ورسول الله ﷺ لا يعلمهم كما قال تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ [الجن: ٢٥].

ففي هذه النصوص ما يشفي المؤمن ويقنعه أن علم الغيب مختص بالله وحده، وأن رسول الله ﷺ لا يدعي ذلك، وإذا كان كذلك فغير رسول الله ﷺ أولى وأولى.

ولننتقل إلى رحاب السنة المطهرة:

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **(إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار)**[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأحكام، باب: موعظة الإمام للخصوم، حديث رقم (٧١٦٩) ومسلم في كتاب: الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة (١٧١٣).

فالحديث صريح أن الرسول ﷺ بشر والبشر وغيرهم من المخلوقات لا يعلمون الغيب، وإنما ذلك لله وحده، ورسول الله يخشى أن يقلب بعض الناس للسنهم وفصاحتهم الحق باطلاً والباطل حقاً، فيقضي رسول الله بنحو ما يسمع: لأن بواطن الأمور وسرائر النفوس وخفاياها لا يعلمها إلا الله.

وروى الإمام مسلم[1] عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها قالت: يا أبا عائشة ثلاث من تحدث بواحدة منهن، فقد أعظم على الله الفرية.

قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣].

---

(١) في كتاب: الإيمان، باب: معنى قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ وهل رآه؟ (١٧٧).

فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: **(إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين؛ رأيته منهبطاً من السماء سادّاً عظم خلقه ما بين السماء والأرض)** فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

أولم تسمع أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

قالت: ومن زعم أن محمداً كتم شيئاً من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

ومن زعم أنه يخبر بما في غد فقد أعظم على الله الفرية).

فعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي أعلم الناس برسول الله ﷺ ترى أن نسبة واحدة من هذه الثلاث إلى رسول الله ﷺ من أعظم الافتراءات على الله، ولنلاحظ كيف استدلت على عدم إمكان رؤيته لربه بقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ الآية [الشورى: ٥١].

لأنها ترى وتعلم أن رسول الله ﷺ بشر تنطبق عليه الآية كما تنطبق على غيره من الرسل الكرام؛ لأن الجميع مشتركون في هذا الوصف وهو البشرية، وهذا الذي أنكرته عائشة إنما هو الرؤية في الدنيا، وأما رؤية الله في الآخرة فهي ثابتة للمؤمنين بالكتاب والسنة، فلا تنكرها عائشة رضي الله عنها.

واستدلت على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

وهو استدلال في موضعه، وهو عين الحق والصواب الذي لا تشك فيه عائشة ولا غيرها من الصحابة الكرام وجميع المؤمنين، ومن زعم أنه ﷺ يعلم الغيب فقد أعظم على الله الفرية كما قالت رضي الله عنها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرتني ميمونة أن رسول الله ﷺ: «أصبح يوماً واجماً»؛ أي حزيناً كئيباً. فقالت ميمونة: يا رسول الله لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. قال رسول الله ﷺ: **(إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني، أما والله ما أخلفني)**.

قال: فظلّ رسول الله يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل، فقال: **(لقد كنت وعدتني أن تلقاني، قال: أجل ولكننا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة)** رواه مسلم[1].

---

(١) في كتاب: اللباس، باب: لا تدخل الملائكة بيتاً =

فجبريل وعد النبي ﷺ أن يأتيه في الليل وطبعاً بات رسول الله ﷺ ينتظره فلم يأته، لذا أصبح رسول الله ﷺ واجماً ولا يعلم لذلك سبباً، ولو علم أن السبب هو الجرو لبادر إلى إخراجه فوراً، ثم استمرّ رسول الله ﷺ على تلك الحالة من الكآبة والحزن يفكر في الأمور التي قد تكون سبباً في تأخر جبريل، فوقع في نفسه جرو كلب فأمر به فأخرج كما قالت ميمونة.

ثم سأل جبريل عن سبب تأخره؛ لأنه لم يستيقن إلى وقت سؤاله السبب الحقيقي، وفي رواية لمسلم[1] عن عائشة يحتمل أن تكون هي هذه الحادثة ويحتمل أن تكون حادثة أخرى، فقال رسول الله ﷺ: **(يا عائشة متى دخل هذا الكلب هنا؟)**، فقالت: والله ما دريت.

= فيه كلب ولا صورة (٢١٠٥).

(١) رقم (٢١٠٤).

فهذه الحادثة وأمثالها كثيراً مما يدور في بيته وهو لا يعلمه فيسأل عنه أهله. فقد تنفد نفقة أهله فلا يعلم بها فيأتيه الضيف فيرسل إلى أهله واحدة واحدة، فيقلن: والله ما عندنا غير الماء. كما روى مسلم[1].

فلماذا يحرج أهله بالسؤال وهو خير الناس لأهله وأفضلهم معاشرة؟ ما ذلك إلا أنه لا يعلم الغيب.

ولما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق استأجر أجيراً يدلهم على الطريق، ومن يعلم الغيب لا يلجأ إلى ذلك.

وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك...[2].

---

(١) في كتاب: الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره (٢٠٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: السُّم (٢١٩٠).

فإذا خفي عليه شيء كهذا وأمثاله وإذا مسّه مرض أو أذى لا نقول: لماذا؟ لأنا نعلم أنه بشر رسول، وسنة الله في البشر أنهم مبتلون، وأشدهم بلاء الرسل، ثم الأمثل فالأمثل، كما قال هو ﷺ.

وروى مسلم[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أتي بضب محنوذ فأهوى إليه ﷺ بيده، فقال بعض النسوة اللَّلاتي في بيت ميمونة: أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل، فرفع رسول الله يده..

وفي رواية أخرى في مسلم: «وكان قلَّما يقدم إليه طعام حتى يُحَدَّثَ به ويسمى له، فأهوى رسول الله ﷺ بيده إلى الضب، فقالت امرأة من النسوة الحضور: أخبرن رسول الله ﷺ بما قدمتن له، قلن: هو الضب، فرفع رسول الله ﷺ يده»[2].

---

(١)(٢) في كتاب: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: إباحة الضب (١٩٤٥ ـ ١٩٤٦).

والعبرة من الحديث:

أن رسول الله كان يكره الضب، كما صرح بذلك غير مرة، وفي هذه المناسبة أهوى بيده ليأكل منه؛ لأنه لا يعلم أنه الضب ولما أخبر رفع يده.

اعتقاد أصحابه وأهل بيته أنه لا يعلم الغيب، ولهذا كان قلما يقدم إليه طعام حتى يحدث به ويخبر ويسمى له.

قول المرأة: أخبرن رسول الله ﷺ بما قدمتن له. والمخاطب بهذا أهل بيت النبي ﷺ، ويمكن أن يكون عندهن غيرهن نساء أخر، وفي القوم خالد بن الوليد وابن عباس ولم ينكر هذا أحد منهم، لأنه مستقر عندهم أنه لا يعلم الغيب، وحاشاهم أن يكونوا غلاة.

ورسول الله ﷺ الذي لا يقر على باطل يسمع هذا كل يوم ولم يقل لهم: لا حاجة بي إلى أن تخبروني لأني أعلم الغيب، والله تبارك وتعالى قد أمر رسوله بأن يستشير أصحابه فقال:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فكان يستشيرهم وأحياناً يميل إلى رأي يكون الصواب في غيره كما في قصة أسرى بدر، حيث هوى رسول الله ﷺ رأي أبي بكر ولم يأخذ برأي عمر فأنزل عليه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧].

فجاء عمر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ وأبو بكر يبكيان فقال: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: **(أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة)**[1].

والشاهد منه أن الصحابة كانوا يدْلون بآرائهم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (١٧٦٣).

إذا استشارهم، ولا يقولون: لا حاجة إلى رأينا لأنك تعلم الغيب.

ولننقل كلاماً يتمشى مع ما اقتضاه الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح:

قال ابن الهمام في المسايرة في العقائد (ص٢٠٢): وذكر الحنفية تصريحاً بالتكفير باعتقاد أن النبي ﷺ يعلم الغيب لمعارضته قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. هذا الكلام في الكتاب المذكور خاتمة الفصل التاسع.

المسألة الثالثة

هل الرسول ليس من البشر؟

وبقيت ثالثة الأثافي، وهي من أغرب الغرائب وأعجبها قولهم: إن رسول الله ليس بشراً، وتضليل من يقول: إنه بشر.

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

فنحن إذن مضطرون إلى أن نسوق الأدلة على بشرية الرسول ﷺ.

آسفين أشد الأسف على من ينتسب إلى الإسلام ويؤمن بالقرآن والسنة ويصل في الانحطاط الفكري والضلال العقائدي إلى هذا المستوى.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالآية تنص على أن رسول الله من أنفس المؤمنين، قال المفسرون: إن المراد بقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ إنه من العرب، وقال آخرون: إن المراد أنه من البشر، ووجه المنة على التفسير الأول أنهم يفقهون عنه ويفهمون ولا يحتاجون إلى ترجمان.

وعلى التفسير الثاني أنهم يأنسون به بجامع البشرية.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، والشاهد من الآية: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وتفسيره كالأول، و«من» في الموضعين للتبعيض فهو بعض من البشر.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

والأميُّون: هم العرب، وقوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي من الأميين العرب، و(من) تبعيضية، فهو من بعض العرب وواحد منهم، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم النبي العربي الأمي الهاشمي من أشرف العرب وأكرمهم مَحْتَداً. ولو كان من عنصر آخر لذكره الله في هذه المقامات.

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وعشيرة الرجل قبيلته وبنو أبيه الأدنون، ولما نزلت عليه هذه الآية صعد على الصفا ونادى: **(يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب اشتر نفسك من الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله**

شيئاً)[1]، وهكذا فهم رسول الله أن عشيرته الأقربين وبني أبيه هم هؤلاء الذين صدع فيهم بهذا الأمر.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤]. وقومه هم العرب الأميون بالكتاب والسنة وإجماع كل الأمم العرب والعجم.

إثبات بشرية الرسول من السنة:

وقبل أن نسوق الأدلة من السنة نذكر نسبه ﷺ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوصايا باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب (٢٧٥٣) ومسلم في كتاب: الإيمان باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٠٦).

فمن يزعم أنه ﷺ ليس بشراً، فماذا يقول في هذا النسب، ولماذا جاء عن طريق هؤلاء؟ فهل هؤلاء أيضاً غير بشر؟

روى مسلم[1] رَحِمَهُ اللَّهُ عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**).

فهذه الفرق والقبائل والبيوت كلها من البشر، ولو كان رسول الله من عنصر آخر لذكره في هذه المناسبات.

وإنا لنأسف إذ نستنبط أموراً بديهية هي من باب تحصيل الحاصل، ولكن ماذا نصنع وقد وجد في الناس من يتلقف أفكاراً مسمومة هدامة تدس

---

(١) في كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب الرسول ﷺ وتسليم الحجر قبل النبوة (٢٢٧٦).

على المسلمين الهدف منها هدم الإسلام واقتلاع قواعد التوحيد من الأساس، يتلقفونها ثم لا تلبث أن تتحول عندهم إلى عقائد راسخة من أعظم أركان الدين، فيوالون ويعادون من أجلها، ويحرِّفون نصوص القرآن والسنة من أجلها مهما بلغت من الكثرة والوضوح.

وعندما رسخت في نفوسهم هذه الأفكار المدسوسة شوَّهت نظرهم الصحيح، فأصبحوا ينظرون إلى البشرية من الزاوية التي نظر منها المشركون، يحتقرون البشرية ويرون استحالة اجتماع البشرية والرسالة، وأن الإنسان لا يمكن أن يرتفع إلى مستوى يؤهله لتلقي الوحي من الله.

قال تعالى حكاية لموقفهم: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤].

﴿قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [ابراهيم: ١١].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [التغابن: ٦].

وهؤلاء نظروا من نفس الزاوية إلى البشرية واحتقروها، فعز عليهم أن يكون رسول الله بشراً وتلقفوا أسطورة من نسج خيال أعداء الإسلام أن رسول الله خلق من نور، وهذه الدسيسة تشبه إلى مدى بعيد دسيسة اليهود على النصارى، واليهود أعدى أعداء عيسى عليه السلام، فدسوا على أتباعه أنه ابن الله، وأنه هو الله لقصد إضلالهم.

ولا يبعد أن تكون فكرة أن رسول الله ليس بشراً: وإنما هو من نور، دسيسة من دسائس اليهود، والقصد إضلال المسلمين، ونحن بحمد الله معشر المؤمنين نرى الإنسان البشر المؤمن العادي أفضل من جميع الأنوار التي خلقها الله، فكيف برسول الله الذي هو أفضل الخلق أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

وكل ما في السماوات والأرض سخره الله لهذا الإنسان البشر: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

فأنوار الكواكب والشمس والقمر والكهرباء كلها مسخرة لهذا البشر الكريم، فالذي يجرد رسول الله من بشريته فقد احتقره من حيث يزعم أنه يكرمه ويجله، ثم هذه الأسطورة لا تستطيع أن تثبت أمام نص واحد من القرآن، وقد تقدمت لكم النصوص التي تلوناها على مسامعكم، ونضيف إليها الآن ما لا يدع مجالاً للشك في الإيمان ببشرية رسول الله المثلى.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، فقد أكد بشريته بأقوى أنواع التأكيد، فإن القصر من أسباب التأكيد عند البلاغيين، ثم زاد ذلك تأكيداً بقوله: ﴿مِّثْلُكُمْ﴾ أي مثلنا في الخلق والتكوين، له جسم مكون من لحم وعظام وعصب، وله شعر وعينان، ويدان يبطش بهما ورِجلان يمشي بهما، ويأكل كما نأكل ويشرب كما نشرب، ويجوع ويمرض، وقد تولَّد بين أبوين هما عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب.

وقد تزوج كثيراً من النساء وأنجب أولاداً كما يتزوج البشر وينجبون، ثم أشار في الآية إلى الميزة التي امتاز بها ﷺ وهي الوحي، فقال: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، وهذا هو المضمار الذي لا يباريه فيه أحد، والقمة الشاهقة التي بلغها هذا النبي العربي الكريم.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٩ ـ ٩٣].

فأنتم ترون أن الكفار قد بلغ بهم التعنت أقصى مدى، فطلبوا من رسول الله ما لا يدخل تحت قدرة البشر ولا غيرهم من الخلق ولا يقدر عليه إلا الله، فلذا أمر الله نبيه أن ينزهه بالتسبيح فقال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى﴾، ثم بيَّن حقيقة نفسه وواقع أمره بكل صراحة ووضوح، فقال: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، وصفان ظاهران أولهما (بشر) وثانيهما (رسول) بأقوى طرق القصر والتأكيد.

والقصر هنا حقيقي بمعنى أنه لا يتجاوز البشرية والرسالة إلى غيرهما، فالبشرية تستلزم كل

خصائص البشرية والرسالة تستلزم كل مقومات الرسالة وخصائصها.

وقال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۝٢﴾ الآية [يونس: ١ ـ ٢]، وقال تعالى في سورة (صٓ): ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [صٓ: ٤ ـ ٥]، فقال رجل منهم، وقال منذر منهم: فبأي حديث بعد الله وآياته نؤمن.

وإليكم الآن أقواله الصادقة الواضحة الصريحة الصحيحة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: صلَّى رسول الله ﷺ الظهر خمساً، فلما سلم قيل له: يا رسول الله أحدَث في الصلاة شيء؟ قال: **(وما ذاك؟)**، قالوا: صليت كذا وكذا، فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم، فلما أقبل علينا بوجهه قال: **(إنه**

لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني) رواه البخاري[1]، وانظر: فتح الباري (١/ ٥٠٣).

وهذا موافق للآيات الكريمة من ناحية القصر والتأكيد وذكر المماثلة في البشرية، وزاد أمراً آخر من لوازم الطبيعة البشرية فقال: **(أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني)**.

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **(إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار)**، رواه البخاري ومسلم[2].

وهذا الحديث يوافق الآيات والحديث

---

(١) في كتاب الصلاة: باب: التوجه نحو القبلة حيث كان (٤٠١).

(٢) سبق تخريجه.

السابق في استخدام الطريق نفسه والأسلوب عينه، وفيه بالإضافة إلى إثبات بشريته نفي علم الغيب عنه، وقد تقدم لنا في بحث المسألة الثانية أن عائشة رضي الله عنها استدلت على أن رسول الله ﷺ لم ير ربه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]. رواه مسلم[1].

وعائشة رضي الله عنها أعلم الناس به ولو كان رسول الله غير بشر لقال لها: أنا لست بشراً، ولأخبرتنا بذلك، ولكنا نراها تحتج على عدم رؤيته لربه ببشريته، وأن الآية تنطبق عليه، والصحابة الكرام كانوا يعلمون أنه بشر وهو يؤكد لهم هذه الحقيقة، وهم قد بلَّغوها إلى التابعين ومَن بعدهم، يتداولون هذه الحقيقة مؤمنين بها من أعماق القلوب كإيمانهم برسالته.

---

(١) سبق تخريجه.

وهكذا نقف على هذه الحقائق الثلاث واضحة جلية على ضوء الكتاب والسنة تولى الله بيانها على أبلغ وجوه البيان بشتى الطرق، كما بيَّنها رسول الله ﷺ كذلك، وليس بعد الحق إلا الضلال، وما بعد بيان الله ورسول الله بيان، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، والمرجع إلى الله وحده، وهو سبحانه سيكافئ ويجازي كل امرئ بما يعتقد وبما يعمل.

والله نسأل أن يثبتنا على الحق والتمسك بالكتاب والسنة، ويتوفانا على ذلك إنه سميع الدعاء.

وصلى الله على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
المسألة الأولى: دعاء غير الله	١٥
المسألة الثانية: ادعاؤهم أن رسول الله ﷺ وكثيراً من الصالحين يعلمون الغيب	٣٢
المسألة الثالثة: هل الرسول ليس من البشر؟	٥٦

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

أضواء إسلامية

على

بعض الأفكار الخاطئة

التوزيع في جميع أنحاء العالم

دار الإمام أحمد للنشر والتوزيع

٦ شارع عزيز فانوس - متفرع من الجزيرة - جسر السويس - القاهرة

هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٦٣٦٥٦٣٨ جوال: ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤١٧٨

دار الإمام البخاري

دار الإمام أحمد